**1**

**المذاهب الادبية:**  
 **المذهب الأدبيّ مجموعة من المبادئ الجمالية والفكريّة والأخلاقية تشكّل في مجموعها لدى شعب من الشعوب، أو لدى مجموعةٍ من الشعوب في فترة معيّنة من الزمان، تيّاراً يصبغ النتاج الأدبيّ والفنيّ بصبغة غالبة تميّز ذلك النتاج عما قبله وما بعده في سياق التطوّر. ويشمل المذهبُ كلّ أنواع الإبداع الفنيّ كالأدب والرسم والزخرفة والطرز المعماريّة فهو حصيلة فلسفيّة تبلور نظرة الأمة حول طرائق تعبيرها الفنيّة  
  
 نشأة المذاهب الأدبية :**  
**لا يجري الإنتاج الأدبي والفنيّ بمعزلٍ عن المجتمع والبيئة، والمبدع محكومٌ، إلى حدٍ بعيد، بمحيطه الذي يعيش فيه، ويكوّن جزءاً منه يبادله التفاعل أخذاً وعطاءً، وتأثّراً وتأثيراً، فهو يتأثر بالبيئة الطبيعة التي تحيط به كالجبال والبحار والأنهار والصحارى، هذه البيئة التي يستدعي اختلافها اختلافاً ضرورياً في الواقع البشريّ من حيث التكوين الجسديّ والطباع وضروب المعيشة والرؤى الفكرية والفنيّة، واللغة وضروب التعبير، ومن جهة أخرى فالمبدع محكوم أيضاً بالبيئة البشرية بكل ما تعنيه من السكون أو الاصطخاب، والتجانس أو التشعّب، والتنوع والتقلّب  
   
ومن هنا انطلق المذهب التاريخي النقدي الذي عُني بدراسة البيئة ومدى تأثيرها في الآداب والفنون وتأثرها بها ودلالة هذه الإبداعات على ملامح البيئة وتصويرها لتياراتها الخفيّة والظاهرة وإرهاصاتها المستقبليّة، ومن هذا التأثير البيئي العام يتكوّن عفوياً، على صعيدي الممارسة والإنتاج (مذهب) لا تتضح معالمه أول الأمر، بل يحتاج إلى مرور عشرات السنين حتى يأتي الدارسون والنقاد الذين يتأملون تلك الظاهرة وأسبابها وتجلياتها وتطورها ثم يخلصون إلى استخلاص قواعدها وفلسفتها وتحديد معالمها وأعلامها ومصطلحاتها وظروفها المكانية والزمانية، فإذا نحن أمام مدرسة نقدية كاملة تنشأ حول هذا المذهب أو ذاك  
  
فالمذهب الأدبي تكوّنٌ جماعيّ لا يقتصر على فردٍ بعينه بل يشمل عدداً كبيراً من المبدعين جمعت بينهم ذوقيّة واحدة وأمزجة متشابهة لوقوعهم تحت تأثير مناخ بيئي عامٍ، والمذهب لا يأتي فجأة فينسخ ما قبله، ولا يزول فجأة أمام موجة مذهبية جديدة، بل يتكون تدريجياً حيث تتعايش آثار المدرسة السابقة والمدرسة الراهنة، ثم تزول الآثار القديمة تدريجيا،ثم يتلاشى أمام مدرسة لاحقة، وتتزامن آثار المدرستين لدى كاتب بعينه، في بعض الأحيان، أو لدى عددٍ من الكتاب والمبدعين في فترة واحدة**

**2**

**الكلاسيكية:**  
**المذهب الكلاسيكيّ classicisme أول مذهب أدبيّ نشأ في أوربا في القرن السادس عشر بعد حركة البعث العلميّ، ويتجلى في بعث الآداب اليونانية واللاتينية القديمة ومحاولة محاكاتها، لما فيها من خصائص فنية وقيمٍ إنسانية، فقد أخذ العلماء يحللون هذه الآثار القديمة ليستنبطوا مبادئها وخصائصها التي ضمنت لها هذه المكانة العظيمة والاستمرارية المدهشة، وكان عملهم هذا إمّا بالتذوق أو بالتحليل المباشر، أو بما كتبه المنظرون القدماء أمثال أرسطو في كتابيه (الخطابة) و(الشعر)وهوراس في قصيدته المطولة (فن الشعر)   
  
أما لفظ (كلاسّيك) فهو مصطلح عائم المعنى، ورغم انتشاره لا يمكن ربطه بزمان ومكان معيّنين وخصائص محددة، لكنه عموماً يدل على كلِّ عملٍ جميل خضع للتطور والتكامل سنين طويلة حتى بلغ غاية الإتقان، وبعبارة أخرى هو كل عمل أجمعت العصور على جماليّته، ومن الملاحظ أن هذا التعريف يقود إلى كثير من الارتباك والتعارض، ولكن إذا أردنا أن نقارب المفهوم المنتشر قلنا: إن الكلاسيكية هي التعبير عن الأفكار العالية والعواطف الخالدة بأسلوب فنّي متقن، يتجلى فيه النظام والدقة والابتعاد عن كل ما هو بدائي وغير منضبطٍ بقواعد  
  
وأول ظهور لهذا الاصطلاح كان في القرن التاسع عشر، وتحديداً في إيطاليا عام 1818م، ثم انتشر في أقطار أوربا خلال مدة لا تزيد عن عشرين عاماً دراسةً ونقداً، أما ممارسةً فقد كان موجوداً منذ القرن السادس عشر، لكنْ دون استعمال كلمة (الكلاسيكيّة)، وفيما يتعلق باشتقاق المصطلح فإنه يعود إلى لفظ (Classe) بمعنى الصّنف أو الصفّ في المدرسة، وكان لفظ (كلاسيك) يعني الشيء المدرسيّ، أو يُطلق صفةً للأديب الذي تدرّس آثاره في الصفوف والكلّيات، كالأدباء الذين كان ينظر إليهم في القرن الثامن عشر على أنهم نماذج جديرة بأن يتمثلها الجيل الجديد  
  
ثم أصبحت كلمة (كلاسيك) تحمل معنى الأفضل والممتاز، فالأدباء النماذج كان ينظر إليهم بوصفهم منتمين إلى طبقة كبار الشعراء اليونانيين واللاتينيين، ثم تطوّرت دلالة كلمة (كلاسيك) فأصبحت عَلَماً على مذهب معيّن، له سماتٌ شاملة، لكنها تتيح وجود تنوعات واختلافات في داخلها، وكانت (مدام دوستايل) الناقدة الفرنسية الألمانية في كتابها: (من ألمانيا) من أوائل من أوضح سمات هذه المدرسة  
  
لقد كان المذهب الكلاسيكيّ في نشأته مرتبطاً بالأنظمة المالكة والطبقات الأرستقراطية، لأنها كانت في أذواقها تنشد الأفضل والأجمل، من هنا كان الفرنسيُّ (فولتير) المتوفى عام 1778م يعلن انتماءه إلى عصر (لويس الرابع عشر 1661-1685)، وقد أكَّد في مؤلفاته أنَّ الحضارةَ الأرستوقراطيةَ لا بُدَّ من أن تستتبع نوعاً من الكلاسيكية بدرجة ما**  
  
**: جذور الكلاسيكية**  
**تمتد جذور (الكلاسيكية) إلى القرن الثالث عشر في إيطاليا حيث لمع أدباء كبار منهم (دانتي) (القرن الثاني**

**3**

**عشر والثالث عشر)، أشهر شعراء إيطاليا حينذاك، ومنهم الشاعر (بترارك) (القرن الرابع عشر) وكان أول من كتب باللغة الإيطالية، واشتهر بدعوته إلى إحياء التراث والتنقيب في آداب الأقدمين (اليونان واللاتين)، ومنهم الشاعر (بوكاشيو) (القرن الرابع عشر) الذي أتقن اللغة اليونانية وخبر آدابها، ولكنّه آثر الكتابة باللغة الإيطالية، فأغناها حين جعلها لغةً للأدب الرفيع، وألّف فيها كتابه (الديكاميرون) وهو مجموعة من الحكايات النثرية التي تصور المجتمع الإيطالي** **بزوغ الكلاسيكية**  
**بدأت بوادر المذهب الكلاسيكي بالظهور في القرن السادس عشر فيما بين عام 1515م وعام 1610م، ويطلق على هذه الفترة عادة اسم (عصر النهضة)الذي يدل على يقظة الآداب والفنون في القرن السادس عشر،وكانت إرهاصات هذه النهضة واضحة تماماً حين أسفر القرنان الثاني عشر والثالث عشر الميلاديين عن حركة أدبية مزدهرة، ورغم أن هذا الازدهار ما لبث أن مال إلى الانحدار في القرن الرابع عشر، إلا أنه مع الحروب الفرنسية الإيطالية حدث بين الطرفين احتكاك حضاري انتهى بالفرنسيين إلى العودة لدراسة النصوص اليونانية واللاتينية وفهمها على نحو أفضل ،ومنذ القرن السادس عشر بدأ مركز النشاط الكلاسيكي بالانتقال من إيطاليا إلى فرنسا، ورغم أن الكلاسيكية قد عمت أوربا كلها إلا أنها كانت في فرنسا أكثر وضوحاً وازدهاراً، وباللغة الفرنسية ظهرت أعمال أشهر الأدباء الكلاسيكيين.**

**خصائصها :**

**تقليد القدماء.**

**العقلانية.**

**التعويل على الحقيقة.**

**القيم الأخلاقية.**

**التعبير باللغة المحلية.**

**الأدب غير الشخصيّ**

**الرومانتيكية**

يعود مصطلح الرومانتيكية إلى كلمة رومان (Roman) ومعناها في العصر الوسيط: حكاية المغامرات شعراً ونثراً، كما تدل على المشاهد الريفيّة بما فيها من الروعة والوحشة، والتي تحيل إلى العالم الأسطوريّ والخرافيّ والمواقف الشاعرية، وأول ظهور لهذا المصطلح كان في ألمانيا في القرن الثاني عشر، ولم يكن واضح المعالم، فقد كانت له دلالات متعددة منها: القَصص الخيالي، والتصوير المثير للانفعال؛ والفروسية والمغامرة والحبّ، والمنحى الشعبيّ أو الخروج عن القواعد والمعايير المتعارف عليها، والأدب المكتوب بلغاتٍ محليّة غير اللغات القديمة، كالفرنسية والإيطالية والبرتغالية والإسبانية، وفي المجمل أصبح المصطلح

4

يعني كل ما هو مقابل لكلمة (كلاسيك)، لذلك وُصِفَ بالرومانسية شعراء وروائيون ومسرحيّون عاشوا قبل عصر الرومانسية مثل شكسبير وكالديرون وموليير ودانتي وسرفانتس، لأنهم أتوا بأدب جديد، ولم يكونوا يعولون على الاهتمام بالأشكال القديمة.

وفي القرن الثامن عشر وأوائل القرن التاسع عشر كان هذا اللفظ يطلق مقصوداً به وصف كلّ بادرة جديدة تتحدّى القواعد الأدبية المترسخة بالذم أو النقص، يقول الشاعر (غوته): (الكلاسيكية صحّة، والرومانسية مرض). ولم يجرؤ أحدٌ من الشعراء الفرنسيين أن يطلق على نفسه وصف (رومانسي) حتى عام 1818م حين أعلن (ستندال): "أنا رومانسي، إنني مع (شكسبير) ضد (راسين)، ومع (بايرون) ضد (بوالو)".

أما الآن فإن مصطلح (الرومانتيكية) يُطْلَقُ على مذهبٍ أدبيٍّ بعينه ذي خصائص معروفة، استخلصت على المستوى النقدي من مجموع ملامح الحركة الأدبية التي انتشرت في أوربا في أعقاب المذهب الكلاسيكي، وكذلك على هذه الفترة وما خَلَّفَتْ من إنتاج على المستوى الإبداعي. والرومانسيّ يرفض تقليد نماذج الأقدمين، ويريد أن يكون مخلصاً لنفسه، وأصيلاً في التعبير عن مشاعره وقناعاته، وهو يقدّم كيفيةً جديدة في الإحساس والتصور والتفكير والانفعال والتعبير.

**جذور الرومانسية:**  
حملت الكلاسيكية بذور الرومانتيكية، وكان كتّاب الكلاسيكية يميلون دوماً إلى اللغة المحليّة والتغيير في بعض القواعد الأدبية، فهذا (رونسار) جد الكلاسيكية كان يمهّد في منحاه الشعري لظهور الرومانسية، أما (ستندال) فقد أكد أن (موليير) كان رومانسياً في أواسط القرن السابع عشر، إضافة إلى أن كتاباً كثيرين، غير فرنسيين، سبقوا هؤلاء إلى الرومانسية مثل (غوته) و(شيلر) و(ليسنغ)، وكان لهم أثر في تحول وجهة الأدب الفرنسيّ.

كما أن التغيرات الاقتصادية والسياسيّة والاجتماعية في نهاية القرن الثامن عشر وبداية القرن التاسع عشر حتمت على أوربا تغيير اتجاه مصادرها الثقافية، وقلبت رأساً على عقب الذوق الأدبي والفنّي في المجتمع، وممّا سهل انتشار الرومانسية الجو السياسي الأوربيّ، فعلى ضوء المصابيح الثورية، وعلى صوت مدافع الثورة الفرنسية ظهرت طبقة جديدة تسلّمت مقاليد الحكم والسلطة، وظهرت مفاهيم الأمة والشعب والمواطنة والحرية والمساواة والعدالة، وعمّ هذا التيار كلّ أوربا منذ نهاية القرن الثامن عشر إلى أواسط القرن التاسع عشر، وهي الفترة الموازية لتصاعد القوميّات وشعور الأدباء بغنى الألوان المحليّة وضرورة العودة إلى المنابع الحيّة للإلهام، وفي فرنسا بصورة خاصّة، وافقت هذه الحركة المجدّدة تطلّع المثقفين إلى تحرير المضطهدين وإنصاف المظلومين والمحرومين منذ عهود سحيقة، كما أن انحلال نظام نابليون وعودة النظام القديم ومُثُله أرهصت للتطلع نحو ظهور البطل الرومانسي المتعطش للحب والشعر والجمال.

**5**

ومن جهة أخرى فقد سببت مجازر الثورة ثم الحروب الطاحنة في أوربا صدمةً عند الجيل الذي كان مشبعاً بروح الوطنية والمغامرة والأحلام بانتصارات عظيمة ومستقبل زاهر لبني الإنسان، حين وجد نفسه خائباً ومحروماً من كل مثال وأمل، فسادَ شعورٌ بالخيبة والإحباط والقلق والانطواء على الذات، ونتيجة ذلك ظهر في الطبقة البورجوازية والوسطى أدباء وفنانون، لم يتجهوا إلى النخبة النبيلة أو المثقفة ولا إلى القصور والحكام بل إلى سواد الشعب، وهجروا اللغة النبيلة المتكلفة ولغة الصالونات الأدبيّة، وبذلك تجددت الأساليب والمفردات والأجناس، وحلّ مفهوم (الفرد) محلّ المفهوم الكلاسيكي للإنسان، وعمّت الرومانسية أوربا، وحرّرت العواطف والأفكار والأذواق وشملت كل النواحي الاجتماعية والإبداعية من اسكاندينافيا إلى أسبانيا وإيطاليا، ثم إلى أمريكا، ودامت مدةً تزيد على القرن، مع الإشارة إلى أن هذه الموجة ليست ذات طابع واحد في كل مكان، بل هنالك ألوان داخل هذا الإطار الكبير، ألوان بعدد الأقطار، بل بعدد الأدباء.

**3- الإسهامات المبكرة للأدباء في الاتجاه نحو الرومانسية:**

**أ- جان جاك روسّو: (1712م - 1778م):**كان (روسّو) يؤمن بالعقل والفكر والجدل، ولكنه انعطف نحو الغريزة والإحساس الفردي وحسّ الطبيعة والأحلام والتملّص من القيود الاجتماعية، وكان يرى أن الإنسان طيّبٌ بفطرته، والمجتمع هو الذي يفسده، وأن التقدم يحمل معه شقاء الإنسان، ولا علاج له سوى الإخلاد إلى الطبيعة واللجوء إلى الدين، لقد كانت روح الرومانسيّة تسري في مؤلفاته من قبل أن تولد الرومانسية، ويبدو أثر ذلك في كتبه: (إيميل، الاعترافات، أحلام المتجول الوحيد).

**ب- مدام دوستايل (1766م - 1817م):**

كان لها إسهامٌ مهم ومبكر في الدراسات الأدبية والنقدية التي شجعت الاتجاه نحو الرومانسية، ففي كتابها (من الأدب) بينت أن الحرية أساس التقدم، ولذلك كانت تبحث في كل عمل أدبي قديم أو حديث عن توهج الحريّة أو خمودها، وتهتم بالبحث عن تأثر الأدب بالفضيلة والخير والمجد والحرية والسعادة والعادات والأمزجة والقوانين، وعن تأثيره في هذه الجوانب، وبذلك فتحت الباب للبحث في علاقة الأدب بالمجتمع، وتضمن كتابها (من ألمانيا) فصولاً نقدية في الشعر والرومانسية، وأخرى في النقد عند (ليسنغ) و(شليغل)، وعرّفت القراء الفرنسيين إلى الشعراء الألمان مثل غوته وشيلر، والأدباءِ الروس والإنجليز، وسبقت بأفكارها حول الرومانسية (شاتوبريان) وأكملت آراءه.

**ت- شاتوبريان (1768م - 1848م):**  
أسهم شاتوبريان في الاتجاه نحو الرومانسية في معظم ما تركه من كتب ومؤلفات، فقد وسع مفهوم الالتفات إلى الطبيعة بكثرة ما وصف من المشاهد الطبيعية التي شاهدها في البلدان الكثيرة التي طوّف بها من أمريكا إلى فلسطين، بما في ذلك البحار والغابات والجبال والأنهار التي عاشرها آناء الليل والنهار وأحسّ بما توحيه من العظمة والروعة والوحشة، وتعاطف الإنسان معها وامتزاج أحاسيسه بها.

أما الكآبة العصرية فكانت معروفة قبله في مؤلفات روسو في (هيلوييز الجديدة 1760)ولدى غوته في (فيرتر) الذي ترجم إلى الفرنسية عام 1778م، ولكنها كانت ترِد لديهما في لمحاتٍ قليلة أو استثنائية وشخصية بخلاف ما هي عليه في كتاب شاتوبريان:(رونيه) الذي شخّص فيه كآبة العصر بكامله، وأبرز مآسيه الشاملة وما انتابه من كوارث الموت والدمار والخيبة في أثناء الثورة الفرنسية وما تلاها من الحروب، حيث لم يبق عزاءٌ إلاّ في الطبيعة والدين، مما جعل هذا الاتجاه أساساً للغنائية الجديدة بمعنييها السلبي والإيجابي.

6

أما تجديده في النقد الأدبي فيبدو في انتقاله من نقد الأغلاط والعيوب إلى النقد الجمالي، والربط بين الأثر الأدبي والحالة الحضارية والمزاجية العامّة، لأنه نتاج هذه الحالة والمعبر عنها والمؤثر فيها، وفي الحقيقة كانت مدام دوستايل قد سبقته إلى ذلك، ولكن خصوصية (شاتوبريان) تكمن في حسمه الخصومة بين القديم والحديث لصالح الحديث، عندما بنى أحكامه وتقويماته الأدبية والفنّية على ذوق عصره وعقيدته أكثر من تعويله على النظريات المعرفية السابقة، وبمقارنته بين نماذج الرجل والمرأة والأم والزوجة والزوج والمحارب في الأدب القديم والأدب الجديد، وتأكيده أن أصالة الكلاسيكية لم تكن لتسطع في بهائها إلا فيما أضافه الكتَّاب من الإغناءات والتغييرات على نماذجهم البشرية من خلال النظرة النسبيّة.

لقد انتشرت الرومانتيكية في ألمانيا وإيطاليا وفرنسا، ولكنه بقي في الأوساط الأكاديمية الرسميّة منظوراً إليه بشيءٍ من الريبة والاستنكار، واشتدت الخصومة بين أنصار القديم و الجديد، وكان من آثارها ظهور مقدمة مسرحية فيكتورهوغو: (كرومويل) 1827م والجدل العنيف الذي ثار حول مسرحيته(هرناني) 1830م، ثمَّ تسربت ملامح هذا المذهب الجديد إلى البرتغال وروسيا وإنجلترا، وكان اللورد (بايرون - 1824م) قد دافع بحماسة عن نسبية الذوق الشعري وعلاقته بالتطورالزمني والاجتماعي، فأصبح بذلك رومانسياً دون أن يدري، وأصبح من أعلام الرومانسية فيما بعد كل من: سكوت وكولردج ووردزوُرث وشيلّي.

وقد انتشرت الرومانتيكة في أوربا وأصبحت مذهباً قوياً يناهض الكلاسيكية، ولكنها لم تَسُد فجأة بل تبعت منحى تطورياً بطيئاً مرّ بمراحل عديدة من الإرهاص والتجربة والتحضير والتعايش مع النظام الكلاسيكي في كثيرٍ من الشّقاق والتصادم حتى عمّ الاقتناع به أوربا كلها، وقد استغرق ذلك قرابة قرنٍ من الزمان.

خصائصها :

**الذاتية أو الفردية.**

**التركيز على العفوية والتلقائية في التّعبيرالأدبيّ.**

**الاهتمام بالطبيعة.**

**فصل الأدب عن الأخلاق.**

**الإبداع والابتكار.**

**الاهتمام بالمسرح**